

Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com



The concept of Madness in The Glorious Quran - An objective study

Karam Waleed Abid

Lect /Department of Quran Sciences and Islamic Education / College of Education / Mosul University

Article information

Article history:
Received March 30, 2014
Reviewer May 1 .2014
Accepted May 7, 2014
Available Online March1 , 2024

Keywords:
Your friend
Madness
Messenger
Clan

Correspondence:
Karam Waleed Abid

Abstract

Prophets (peace and blessings be upon them) were accused of madness ، sorcery and being poets in all times and places and Almighty Allah expressed these accusations and statements about His prophets in the glorious Quran and replied that His prophets are sound and reasonable persons and refuted those fallacious accusations. This research investigated the concept of madness in the glorious Quran (an objective study) and the methodology of the study is arranging the Suras of the glorious Quran in accordance with the temporal sequence of the prophets (peace and blessings be upon them **.(**

The study consisted of three sections. The first involves prophet Noah (peace and blessings be upon him) and negating his madness ،and this section consisted of two sub sections ،the first about what Almighty Allah says: (And some said: "He is only a man possessed: wait and have patience with him for a time)) (AlMu'minon Sura: verse 25) ،and the second ((Before them the People of Noah rejected (their apostle): they rejected Our servant and said "Here is one possessed!" and he was driven out)) (AlQamar Sure: 9). While the second section dealt with the prophet Moses (peace be upon him) and the negation as to his madness was also rejected by the Quranic verses in two occasions ،the first is: (("Pharaoh said": Truly your apostle who has been sent to you is a veritable madman)) AlShu'araa Sura: verse 27). And in the second occasion we studied another acquittal for Moses from madness by Almighty Allah: ((But Pharaoh turned back with his Chiefs and said "A sorcerer or one possessed")) (AlThariyat Sura: verse: 39). The third section tackled negating madness from prophet Mohammed (peace be upon him) and it involved eight occasions: the first ((Or do they say "He is possessed"? Nay he has brought them the Truth but most of them hate the Truth)) (AlMu'minon Sura ،Verse: 70) ،the second: ((And say: "What! shall we give up our gods for the sake of a Poet possessed?)) AlSaffat Sura ،verse: 36) ،the third: ((Yet they turn away from him and say: "Tutored (by others) a man possessed)) (AlDukhan Sura ،verse: 14) ،the fourth : ((Similarly no apostle came to the Peoples before them but they said (of him) in like manner "A sorcerer or one possessed)) (AlThariyat Sura ،verse: 52). And in the fifth sub section we tackled what Almighty Allah says: ((Therefore proclaim thou the praises (of thy Lord): For by the Grace of thy Lord thou art no (vulgar) soothsayer nor art thou one possessed)) (AlTur Sura ،verse: 14) ،but the sixth was: ((Thou art not by the grace of thy Lord mad or possessed)) (AlQalam ،verse: 2) ،while the seventh one was what Allah says: ((And the Unbelievers would almost trip thee up with their

eyes when they hear the message; and they say: "Surely he is possessed)) (AlQalam Sura ،verse) and finally the eight verse is: ((Our Companion is not mad)) (AlTakweer ،verse: 22)

DOI: 10.33899/radab.2024.182334

مفهوم الجنون في القرآن الكريم – دراسة موضوعية

كرم وليد عبد*

المستخلص :

لقد اتُّهم الأنبياء(عليهم الصلاة والسلام) بالجنون والسحر، وبأنهم شعراء، في كل زمان ومكان، ونقل الله تعالى أقوال الكافرين واتهاماتهم للأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في القرآن الكريم، ورد عليهم بسلامة منطقهم ورجاحة عقلهم،ودحض تهمهم الباطلة، وقد درس البحث (مفهوم الجنون في القرآن الكريم دراسة موضوعية)، ومنهجنا في الدراسة هو ترتيب السور حسب الترتيب الزمني لظهور الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).

يتكون البحث من ثلاثة مطالب: يتضمن المطلب الأول: النبي نوح (عليه السلام) ونفي الجنون عنه، وكان للمطلب الأول موضعان، الأول: في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ {25})[المؤمنون: ٢٥]، والموضع الثاني: قوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9}) [القمر:٩]. وخصص المطلب الثاني للنبي موسى (عليه السلام) ونفي الجنون عنه، وله موضعان أيضاً: الأول: قال تعالى:(قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ {27}) [الشعراء: ٢٧]، ودرسنا في الموضع الثاني: تنزيه آخر لموسى (عليه السلام)، قال تعالى: (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {39}) [الذاريات: ٣٩]. ودرس المطلب الثالث نفي الجنون عن النبي(ﷺ)،وفيه ثمانية مواضع: الأول: قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ {70}) [المؤمنون: ٧٠]، والثاني: قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ {36}) [الصافات: ٣٦]، أما الثالث، فقوله تعالى: (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ {14}) [الدخان: ١٤]، وفي الرابع درسنا الآية : قوله تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {52}) [الذاريات: ٥٢]، وتكلمنا في الخامس عن قوله تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ {29}) [الطور: ٢٩].أما السادس فكان لقوله تعالى: (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {2}) [القلم: ٢]،وتضمن السابع: قوله تعالى: (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ {51}) [القلم: ٥١]، وأخيراً جاءت الآية الثامنة، قوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ {22}) [التكوير:22].

الكلمات المفتاحية : صاحبكم ، جنون ، رسول ، عشيرة .

التمهيد:

1- الجنون لغة:

جاءت كلمة الجنون من الفعل الثلاثي جنن،وجنّ الشيء يجنّه جنّاً بمعنى ستره، وجنّه اللّيل يجنّه جنّا وجنونا ستره لشدة ظلمته واختلاطه [1]، كقوله تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ {76}) [الأنعام:76]. ومنه قول دريد بن الصمة:

* مدرس / قسم علوم القرآن والتربية والإسلامية / كلية التربية/ جامعة الموصل

ولولا جنان اللّيل أدرك ركضُنا بذي الرِمثْ والأرطى عياض بن ناشب[2].

وبه سمي الجنّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار والجِنّة نوع من العالم تطلق على الجنّ والملائكة لأن كليهما لا يرى بالعين المجردة، وقد ادعى كفار مكة بأن الملائكة بنات الله تعالى، ومن جهة أخرى جعلوا بينه وبين خلقه نسباً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[3]، كقوله تعالى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ {158}) [الصافات:158].

ومنه قول النبي (ﷺ) ((اللهم إني أعوذ بك من جُنونِ العَمَل)) [4].أي من الإعجاب به[5].

2- الجنون اصطلاحاً:

يسمى الشخص الذي يصاب بالجنون المجنون ويُعد المجنون من المصطلحات القانونية للمرض العقلي الذي يكون من الشدة اذ ينفي المسؤولية عن الفرد، يقابله في الطب النفسي الذُّهان[6]. والنبي(ﷺ) الأمين أو المؤتمن على الوحي المنزل من الله عزوجل على النبي(ﷺ) لتبليغه الرسالة التي كلف بها منزّه عن مثل هذه الأمراض.

وهناك محتويات عقلية تظهر على المصابين بالجنون والذين يعانون من التهاب الأعصاب المتزامن بسبب نقص الثيامين،أو بسبب الإصابة في الرأس،أو ورم في المخ أو تصلب في شرايين المخ، ويمتازون بضعف الذاكرة وفقدانها بالنسبة للحوادث الحديثة أو الحالية أو تزييف الحوادث وملء الثغرات في الذاكرة بروايات ملفقة[7]. وقد قال الكفار عن النبي(ﷺ) إنه مجنون، على الرغم من معرفتهم بأمره، فاقسم الله عزوجل بنزول القران عليه عن طريق جبريل (عليه السلام) ليس كما يدعون بأن القران يؤتى من قبل نفس النبي(ﷺ)[8].

المطلب الأول: النبي نوح (عليه السلام) ونفي الجنون عنه، وكان للمطلب الأول موضعان:

أولاً: نفى الله تعالى هذه الصفة الذميمة(مجنون أو به جنة) عن أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام)،ومنهم سيدنا نوح (عليه السلام) في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ {25}) [المؤمنون: ٢٥].

أكد الكفار أن نوحا(عليه السلام) ((خبل في عقله، فمزاعمه لا تصدر إلا من رجل لا يزن قوله، ولا يدعم رأيه بحجة ناصعة، ولا يلتفت إذاً إلى ما يدّعي، ولا ينبغي أن نضيع الوقت في محاجّته، ودحض مزاعمه في صدق دعوته))[9]. وعبرت الآية الكريمة بـ (إن)التي تدل على النفي بمعنى (ما هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) أي جنون في قصده التفضل بما يروث ببغضه، ولا نعرف له

---

(1) تفسير الجلالين, للإمام جلال الدين المحلي, والإمام جلال الدين السيوطي, دار العلوم الحديثة(بيروت-د-ت):181, ولسان العرب المحيط: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، قدم له: عبد الله العلا يلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط دار لسان العرب (بيروت: د. ت):1\515.

(2) ديوان دريد بن الصمة, قدم له د: شاكر الفحام,تحقيق , محمد خيري البقاعي, دار قتيبة 1981: 29.

(3) ينظر: تفسير الجلالين:597.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير, تحقيق:طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية (بيروت:1979): 1\309.

(5) لسان العرب المحيط :1\517.

(6) معجم علم النفس – انكليزي-فرنسي-عربي, د. فاخر عاقل,ط1, دار العلم للملايين(بيروت:1971): 58.

(1) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي,د.عبد المنعم الحفني, مكتبة مدبولي, مط, أطلس(د. م- د. ت): 423.

(2) ينظر: فتح البيان في مقاصد القران, صديق حسن القنوجي,راجعه: عبد الله بن إبراهيم, دار إحياء التراث الإسلامي(قطر:1989): 106/15.

(3) تفسير المراغي, أحمد بن مصطفى المراغي ,ط1, مط, مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده (مصر:1946): 18/18.

وجهاً مخصصاً به، فلا نطيعه أبداً [1]، فكان قومه يلاحظونه بعين الجنون، وما زاد لهم دعوة إلى الله تعالى والتقرب إليه إلا ازدادوا عن إجابته نبوة، وما زاد لهم صفوة ونصحاً إلا ازدادوا على طول المدة بعداً وقسوة [2].إذن السياق عبر بلفظ (إن هُوَ إلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) أي هو مجنون أو له جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول، والجن خلاف الإنس، وسموا بذلك لاجتنابهم عن الأبصار فلا يُرون[3]، أو لأن أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة[4].

فالكفار يدّعون أنّ نوحاً (عليه السلام) لو كان نبياً لكان له ذكر في آبائنا الأولين، وما سمعوا خبر نبوته ممن مضى في زمنه، وصدور ذلك العنت والتكذيب في أواخر امره (عليه السلام) بقوله (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) بمعنى اصبروا عليه وانتظروا خيراً أو شراً[5]، فعبر السياق عن وصف هؤلاء الكافرين لفرط غلوهم في التكذيب التكذيب والعناد، أو لانهماكهم في الغي والفساد، وهم يعرفون انه (عليه السلام) أرجح الناس عقلاً وأوزنهم قولاً، وهو على ما تقدم محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة[6]، وقد كان الأذى يأتيه من الرؤساء ومكرهم واحتيالهم في الدين وكيدهم لنوح، وتحريش الناس على أذاه، وصدّهم عن الميل إليه والاستماع له [7]، ونلاحظ من الآية الكريمة أن الجزم الظاهري عطف على الموضع[8]، الموضع[8]، أي موضع (فتربصوا) للطلب المعبر عنه بـ ((الانتظار))[9]، فنوح (عليه السلام) ومن بعده النبي (صلى الله عليه وسلم) يتربصون بقومهم الايمان بالله تعالى والظفر بالشهادة، وهم يتربصون بهما بهما تكذيباً وإنكارا أو قتلاً بأيديهم بما أدياه من الرسالة والنصح والشفقة عليهم، كقوله تعالى:(وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ) [هود: ٣٤].

ويلفت القرآن الكريم أنظارنا من خلال لفظة(رجل) في قوله (رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) وأصل (رَجُلٌ) في اللغة بمعنى الذكر من الأناسيّ وجمعه رجال[10]، والتنكير واضح لأنهم أرادوا إنكار الرسالة وما جاء به من الحق، لذا وصفوه بـ (جِنَّةٌ) ولقد عرفوا ان ليس به جنون، فأرادوا التلبيس والتمويه على قومهم إذ خالفهم في جميع أمورهم من رؤساء وقادة، ويقولون ما يفعل هذا الا مجنون أو آفة أصابته في عقله، فالأسلوب القرآني عبر عن رفضهم بقوله (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) ولفظة (حِينٍ) تأتي بمعنى الموت، أو وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون أو ارادوا وقتاً آخر[11]، فلفظة (حِينٍ) في اللغة بمعنى وقت من الدهر مبهم يصلح

---

(4) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور,إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ألبقاعي, دار الكتاب الإسلامي (القاهرة: د- ت) :132/13.

(5) ينظر: لطائف الإشارات,تفسير القشيري,عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري,المحقق:إبراهيم البسيوني, ط 3 , الهيئة المصرية العامة للكتاب(مصر:د- ت): 575/2.

(3) ينظر: لسان العرب المحيط : 515/1.

(4) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني، راجعه وقدم له: وائل احمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية (القاهرة: 2003): 99.

(5) ينظر: لسان العرب المحيط: 1106/1.

(6) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي، تحقيق وتخريج: د. السيد محمد السيد وسيد ابراهيم عمران، دار الحديث (القاهرة: د.ت): مج9، 306/18.

(7) ينظر: الكشاف من وجوه غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل تفسير القرآن الكريم، للامام محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): 143/4.

(8) البيان في غريب إعراب القرآن، ابو البركات عبد الرحمن بن الانباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، دار الكتاب العربي (القاهرة: 1970): 441/2.

(9) لسان العرب المحيط: 1106:/1.

(10) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للإمام احمد بن محمد علي المقري الفيومي، تصحيح: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده (مصر: د.ت): 273/1.

(11) ينظر: تأويلات اهل السنة، للإمام ابي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1971): 464/7.

لجميع الازمان كلها، طالت أو قصرت[1].وقوله تعالى (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) أي حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيها[2]، ومنه قوله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) [الصافات: ١٧٤]، يقول سيد قطب: في هذه الآية أن مثل هذا يقع دائماً إذ يطمس التقليد على حركة الفكر وحرية القلب، فيتهمون دعاة التحرر والانطلاق بالجنون، وهم يدعونهم إلى التفكر والتدبر والإيمان بخالق الوجود، فإذا هم يتلقون هذه الدعوة بالتبجح والاتهام والإعراض عنها قالوا (إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) أي امهلوه إلى ان يأخذه الموت، ويريحكم منه، ومن الحاحه عليكم بالقول الجديد.. لم يجد نوح (عليه السلام) منفذاً إلى تلك القلوب بالجاحدة إلا ان يتوجه إلى ربه وطلب النصرة منه[3].في حين جاءت كلمة (جِنة) في الآية الكريمة بمعنى مجنون، وهو ستر العقل الذي يسيطر على حركة الانسان في الحياة. افعل أو لا تفعل- أما المجنون، فيعمل ما يخطر به دون ان يعرض الاعمال على العقل أو الفكر، فهل يكون مجنوناً صاحب الخلق الذي يسير على وفق قوانين الحياة محكوما بنظم وقيم خلقية كبيرة؟ ومن العجب أن تهمة الجنون سائرة على لسان المكذبين للرسل في كل زمان ومكان، وقد اتهم بها الرسول (ﷺ) فرد الله تعالى عليهم ونفى عن رسوله (ﷺ) هذه الصفة بقوله: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ {1} مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {2}) [القلم: ١ – ٢]. ولو كان مجنونا، فلماذا استأمنوه على ودائعهم ونفائسهم واطمأنوا اليه وسموه الصادق الأمين، وما دام الأمر لا يعدو أن يكون رجلاً به جنة فتربصوا به ودعوه، فان كان على حق نصره الله تعالى وأظهر أمره وعندها نتبعه، وإن كان غير ذلك فنحن معرضون عنه [4]، وستعبدون غير الله تعالى وهو ربهم الذي خلقهم ورزقهم وإليه يرجعون، فرفضوا الحق بما أمكنهم وبما عنّ لهم ألا تراهم كيف جّننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلاً وأوزنهم قولاً؟ فالأسلوب القرآني يصور لنا استمرار كفرهم بقوله (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) أي احتملوا واصبروا عليه زمنا حتى ينجلي أمره عن عاقبة، فإن أفاق من جنونه تركوه وإلا قتلوه. ولكن كانت عاقبتهم أن أهلكهم الله بسبب كفرهم وتكذيبهم[5].

ثانياً: إن القرآن الكريم يصور لنا قوم نوح (عليه السلام) وكيفية تكذيبهم له وخروجهم عن طاعته في كل مكان حتى إذا مضى منهم قرن مكذب تبعه آخر مُكذباً الرسل جاحدين للنبوة، قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9}) [القمر: ٩]، فكذبوا عبدنا لأنه من جملة الرسل وقالوا (مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) فانتهروه بالشتم والرجم، كما في قوله تعالى: (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ {116}) [الشعراء: ١١٦] ولفظة (أزدجر) أي طُرِدَ، واستِعمَالُ الزّجْرِ فيه لصياحهم بالمطرود[6]. أو فقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه، فلجأ إلى الله بقلبه أن ينتصر ويهلك قوم نوح (عليه السلام) بالطوفان[7].ذهب الرازي إلى أن قوله (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) وقوله في بداية الآية (كَذَّبَتْ) له عدة وجوه:

أولاً- فكذبوا بآياتنا وآية الانشقاق. ثانياً- قولهم لم يبعث الله تعالى رسولا وكذبوهم في التوحيد، فكذبوا عبدنا نوح (عليه السلام) لأنهم قوم مشركون يعبدون الأصنام، وينكرون الرسالة. ثالثاً- في قوله (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) للتصديق والرد عليهم بمعنى قوم نوح كذبوا عبدنا ولم يكن تكذيباً بحق[8].

---

(1) لسان العرب المحيط: 771/1.

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبي إسحاق إبراهيم بن سري ,شرح و تحقيق:د.عبد الجليل عبده شلبي,وخرج أحاديثه،علي جمال الدين محمد, دار الحديث (القاهرة:2004): 238/4.

(3) ينظر: في ظلال القرآن. سيد قطب، ط7، دار إحياء التراث العربي (بيروت: 1971): 25/6.

(4) ينظر: تفسير الشعراوي، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي شعراوي حول القرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، الإدارة العامة للبحوث للبحوث والتأليف والترجمة (القاهرة: 1991): 10012-10011/16.

(5) ينظر: الكشاف: 140/3.

(6) المفردات في غريب القرآن: 217.

(7) الكشاف: 327/4.

(8) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 36/29.

نلاحظ عناية الله تعالى برسوله وكونه معه حين كذب،فضلاً عن إضافة العبد إلى الضمير (نا) الذي يعود إلى الله تعالى ((إضافة تشريف لا إضافة تعريف لانّ وصف العبودية لله مُتحققٌ لسائر المخلوقات فلا تفيد إضافته تعريفاً))[1].

وإيثار لفظ (عبدنا) دون (رسولنا) أو (نبينا) لأن العبد أقل تحريفاً لكلام السيد من الرسول، كقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ {44}) [الحاقة: ٤٤]. وقوله (مجنون) لمّا عجزوا منه قالوا هو مصاب بالجن لبيان قبح صنعهم إذ لم يقنعوا بقولهم انه كاذب، بل قالوا مجنون يقول ما لم يقل به عاقل، فبين مبالغتهم في الكذب، فضلاً عن إيذائه بقولهم (ازدجر) أي عدل عن الدعاء إلى الإيمان إلى الدعاء عليهم،ولو قال – زجره – ما كان تأذى منهم، والمقصود تقوية النبي (ﷺ) من قومه[2]. وهذا الأسلوب امتاز به القرآن الكريم في التعامل مع المشركين بسبب كفرهم وتكذيبهم بالآيات.

المطلب الثاني : للنبي موسى (عليه السلام) ونفي الجنون عنه،وكان للمطلب الثاني موضعان:

أولاً: قال تعالى: (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ {27}) [الشعراء: ٢٧].

إن الآية الكريمة تحكي ما كابده موسى (عليه السلام) وهو يدعوهم أن ربّ العالمين ربّهم وربّ فرعون، فهذه الدعوة اشد مساساً بفرعون فقال متهكماً على الرسالة التي جاء بها(إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) ليبعد القلوب عن تصديقها لا أنه يريد الإقرار بها،فاتهم موسى (عليه السلام) بالجنون ليُذهب أثر مقالته التي تطعن وضع فرعون السياسي والديني[3] فلم يلتمس آل فرعون سبب النجاة والإيمان بالله تعالى، وآثروا دعوته إلى قتل موسى (عليه السلام)،والكفر بما جاء به.

واحتج موسى (عليه السلام) بالمغرب والمشرق لطلوع الشمس من أحد الخافقين بقوله: (قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ {28}) [الشعراء:28]، فلما مال قلبه أولاً ورأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن فرعون وعارض: إن رسولكم لمجنون بقوله (إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) [4].قال الآلوسي: فأوهم فرعون أن استماعهم له كاف في رده وعدم قبوله، وعدل موسى (عليه السلام) إلى ما هو أقرب وأوضح لمنصب الإرشاد حسب الإمكان لتعذر الوقوف على الحقيقة ٹ ٹ (قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ {26}) [الشعراء:26]،فازداد خوف فرعون وقوى من فتنة قومه وقبول ما يجئ به قال (إِنَّ رَسُولَكُمُ) إذ يسأل عن شيء فيجيب عن شيء آخر وينبه على ما في جوابه ولا ينتبه، وسماه رسولا بطريق الاستهزاء، وأضافه إلى المخاطبين ترفعاً من أن يكون مرسلاً إلى نفسه وأكد ذلك بالوصف، وفيه إثارة لغضبهم واستدعاء لإنكار رسالته بعد سماع الخبر[5].

تتجسد لفظة (رَسُولَكُمُ) بمعنى الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وفيه جاءت الرسل رسلاً أي متتابعة إذن فإن الرسول مأخوذ من الرسالة[6] فالرسل يكونون مبشرين ومنذرين للناس كافة ، وموسى (عليه السلام) لكونه رسولاً أمينا يدعوهم إلى تصديقه لا لذاته ولكن للإيمان بالله تعالى، فكل ما اخبرهم به من حجج وبراهين أُنزلَ عليه من السماء وليس من معارفه المحصلة بالقراءة وغيرها.

فعلمَ موسى (عليه السلام) جهل فرعون، فأضربَ عن سؤاله وأعلمه بعظم قدرة الله تعالى التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها، فقال فرعون (ألا تستمعون) تعجباً من سفاهة المقالة.. فازداد موسى (عليه السلام) في البيان (ربكم ورب آبائكم الأولين) أتى بدليل يعرفونه هو أن آباءهم قد فنوا، وأنه لا بد من مغير ومكون، ولما كان هذا كلام من جانب موسى (عليه السلام) ليحفز فيه

---

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون (تونس: 1997): 11/14، والإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، ط1، دار الأفاق العربية (القاهرة: 2002): 165.

(2) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 37/29.

(3) ينظر: في ظلال القرآن: 203/6، والتحرير والتنوير: 152/24.

(4) ينظر: الكشاف: 234/3.

(5) ينظر: روح المعاني: 95/19.

(6) ينظر: أصول الدين الإسلامي، د. رشدي عليان، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، ط3، مط الرشاد (بغداد: 1986): 230.

الذهن إلى التفكير في أسباب التغيير، واستخراج المزية الكافية فيه، ونظيره في النطق أن يغير المتكلم جرس صوته أو خفضه أو مدّه[1]، ولكن جاءت صرخة فرعون بقوله على جهة الاستخفاف (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) أي لا يجيبني عما اسأل، فأجاب موسى (عليه السلام) بأن الذي أرسلني له المشرق والمغرب، فلما انقطع فرعون لعنه الله تعالى في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى (عليه السلام) بالسجن، فالمتتبع للسياق القرآني في هذه الآية يجد أن فرعون لم يقل لموسى (عليه السلام) ما دليلك على هذا الإله الذي أرسلك لأن فيه اعتراف بان ثمّ إلهاً غيره[2].

ثانياً: نفي آخر لموسى (عليه السلام) في قوله تعالى: (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {39}) [الذاريات: ٣٩] فكأنه قال: أقتل موسى (عليه السلام) لئلا يبدل دينكم، ولا يظهر في الأرض الفساد فتولى أمره بنفسه، ومعنى (فَتَوَلَّى)((قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار)) [3]. وحرف الباء في قوله (بركنه) تأتي بمعنى المصاحبة، أو تكون للتعدية أي تقوى بجنده، والراجح في (ركنه) وزيره هامان [4]، رأى الزمخشري في قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) أي فازورَّ، كقوله تعالى: (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) [فصلت: ٥١]، وأما قوله (فَتَوَلَّى) فتثير في النفس بما كان يتقوى به من جند وملك. فضلاً عن قوله(وقالوا ساحر) أي حركة الساحر في إقباله وإدباره، وما يصاحب حركاته من ظهور الشرور على يده[5]. فلفظ (ساحر) كانت على لسان فرعون –لا الملأ- وهذا يؤكد يؤكد لهم أن معجزة موسى (عليه السلام) التي سماها فرعون سحراً بلغت من القوة والتأثير بأن أخرجهم موسى (عليه السلام) من أرضهم بها [6]. والمتأمّل في الآية الكريمة يجد أن سياق قول فرعون (ساحر أو مجنون) يدل على كفره وعناده. فسيدنا موسى (عليه السلام) اتهم بالسحر والجنون وكلاهما للجن فيهما اثر لكن الساحر يأتيهم باختياره، والمجنون يأتونه من غير اختياره، فكأنه أراد صيانة كلامه عن الكذب فقال هو بسحر الجن أو يسحر،فإن كان ليس عنده منه خبر أخذه الله تعالى وأخذ أركانه وألقاهم جميعا في اليمّ وهو البحر[7].

إن الله تعالى هو الذي حكى لنا الحوار والمناظرة وكيفية مخاطبة موسى(عليه السلام) بالرفق في دعوة فرعون الطاغية الذي يشعر بالأنفة والعزة، فضلا عن ميله بالخصومة والعناد في خطابه. فأهلكه الله تعالى ولم ينفعه إيمانه بقوله تعالى: (آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {90}) [يونس: ٩٠].لأن مقادير اللّوم تختلف، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك الصغيرة إذ يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبح والسيئة[8].

المطلب الثالث: نفي الجنون عن النبي(ﷺ)،وفيه ثمانية مواضع:

أولاً: حثت سورة (المؤمنون) على كلمة التوحيد بقوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ {70}) [المؤمنون: ٧٠].

فلما بُعث النبي (ﷺ) بكلمة التوحيد أنكروها وكذبوا به، وقد وجدنا ذلك في تاريخ الرسالات كلها، بالرغم من معرفة رسولهم اكثر من أي احد من أمانة ونسب وخلق، فأعرضوا عنه كارهين أكثرهم للحق لأنه سلبهم معتقداتهم الباطلة فقالوا: (أَمْ

---

(1) ينظر: إعراب القرآن الكريم، وبيانه، محيي الدين درويش، ط9، دار ابن كثير، بيروت، ودار اليمامة (بيروت: 2003): 153/2.

(2) ينظر الجامع لإحكام القرآن – تفسير القرطبي- للإمام أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، تقديم هاني الحجاج، حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية (القاهرة: د.ت): 83/13.

(3) المفردات في غريب القرآن: 548.

(4) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 203/28.

(5) ينظر: الكشاف: 305/4.

(6) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د. عبد الحميد احمد يوسف هنداوي، ط1، المكتبة العصرية (بيروت: 2001): 104.

(7) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 203/28.

(8) ينظر: الكشاف: 305/4.

يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) وهذا قول سفهائهم وهم على ثقة بأنه عاقل كامل ليس له زلة في تاريخه الطويل[1]، ولكنه جاءهم بما خالف اهواءهم، ولم يوافق ما نشأوا عليه من اتباع الباطل، فاخلدوا إلى البهت وعولوا على الكذب، فنسبوا اليه الجنون والسحر والشعر، وقوله (أكثرهم) الذي يجسد سياق القلة منهم الذين يكرهون الحق ولا يؤمنون به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق[2]، وأما الطرف الآخر فتجسد بـ (أم) المنقطعة بمعنى (بل) أو قد تكون للاستفهام غير الحقيقي الذي يراد به الإنكار والتوبيخ [3]، كقوله تعالى: (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ {39}) [الطور: ٣٩].

وإن أسلوب عبارة القرآن يدل على اهمية نفي الجنون عن أنبيائه،إذ في الجنون تتعطل الآلة العقلية، فلا تزن الحركات على وفق الخير النافع، أو ترك الشر الضارّ، أما (الخُلق) فهو أمر يتفق عليه الجميع ويحمدونه حتى وان كانوا ضد صفته،فكان ينبغي عليهم أن يقيسوا محمد (ﷺ) بأخلاقه لا بالدين والرسالة التي جاء بها لأن العقل هو ميزان الخُلق وأساسه، فخلقه العظيم اكبر دليل على أنّهُ ليس بمجنون[4]. يؤكد هذا الأمر قول عمه أبي طالب حينما قام خطيباً فقال: الحمد لله الذي جعل من ذرية إبراهيم وزرع وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مصر إذ جعلنا حفظة بيته والحكام على الناس، ثم ابن أخي محمد (ﷺ) لا يوزن برجل إلا رجح به، فان كان مالاً قل لأن المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد (ﷺ) من قد عرفتم قرابته، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل[5]. اذ نرى من خلال السياق القرآني نوعاً أو أنواعا من التوبيخات منها أنهم أنكروا الرسول الذي أضيف إليهم في قوله (أم (أم لم يعرفوا رسولهم) بمعنى رسولاً لهم، وأما الآخر في الإضافة إلى الله تعالى: رسول الله أي رسول منه[6].ويجسد السياق توبيخهم من خلال الاستفهام الإنكاري في قوله(أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) فالهمزة للإنكار والمعنى: أيقولون به جنة أي جنون مع أن النبي (ﷺ) أرجح الناس عقلاً وأمانة وصدقاً إلى غير ذلك من الكلمات اللائقة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول (ﷺ) بل جاءهم بالتوحيد ودين الإسلام الذي تضمنه القرآن[7]، ولقد علموا أنه ليس بمجنون، قال قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسير الآية الكريمة، لعمري لقد جاءهم ما لم يأتِ آباءهم الأولين، وجائز أن يكون قوله (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ {68}) [المؤمنون:68] الى ما ذكر من قوله (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) لأنه يخرج على الأمر بالتدبر فيه، ومعرفة الرسول أنه ليس كما يصفونه من الجنون وغيره؛ كقوله: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ {8}) [الروم:8] أي تفكروا وعرفوا أنه ليس به جنة، ولا شيء مما وصفوه به؛ لكنهم أرادوا أن يلبسوا أمره على أتباعهم وسفلتهم [8].

ثانياً: في قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ {36}) [الصافات: ٣٦].لأن المجنون في الآية الكريمة من زال عقله بالكلية، فكيف يقول الشعر الرصين الذي تخافه العرب، فقولهم شاعر لفظة مغايرة للجنون جوهرياً، ولكنها تدل على التهمة نفسها، بأسلوب أكثر أدبا دلالة على دهائهم في القول. إذ آثرت الآية الكريمة التعبير عن وصف هؤلاء الكافرين بقولهم (آلِهَتِنَا) وهم بمعنى المعبود، فبأي حق عُبدت، وهم يعلمون أنها جمادات لا تضر ولا تنفع، ولكن عبدوها بفطرة التدين في الإنسان، لأنه يستند إلى قوة أعلى منه يلجأ إليها عند الشدة، فضلاً عن تفريقهم بين القرآن الذي هو كلام الله تعالى وبين الشعر الذي هو كلامهم وأوزانهم وقوافيهم، ثم يتهمون الرسول (بالجنون)، إذ إن المجنون يتصرف بجوارحه تصرفا لا يمر على

(1) ينظر: في ظلال القرآن: 39/6.
(2) ينظر: الكشاف: 149/3.
(3) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط2- شركة العاتك (القاهرة: 2000): 217/4.
(4) ينظر: تفسير الشعراوي: 10091/16-10092.
(5) ينظر: صفوة الصفوة , عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي, تحقيق: محمود فاخوري ود, ومحمد رواس ولعه جي, دار المعرفة (بيروت:1979): 74/1.
(6) ينظر: تفسير الشعراوي: 10092/16.
(7) ينظر: روح المعاني: مج9، 336/18.
(8) ينظر: تأويلات أهل السنة: 482/7.

العقل، ومن جهة أخرى: انه لا يفاضل بين الأشياء ولا يعرف الضّار من النّافع، وأخيراً المجنون ليس له خُلق، وهم أعلم الناس بسيرته فيهم قبل بعثته، وما أبعد الجنون عن الذي جمع محاسن الصفات وكريم الأخلاق[1].

وبالرغم من ذلك وقعوا بالعذاب لأنهم كذبوا بكلمة التوحيد والإقرار بها بقوله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) أما تكذيبهم بالنبوة فلأنه جاء بالدين الحق فضلاً عن تنزيه الخالق من الند والضد والشريك، فقال تعالى (إنا لتاركوا بعِض) والمقصود به محمد (ﷺ)، فجاء الرد على المشركين [2]، بقوله (بَلْ جَاء بِالْحَقِّ) [الصافات: 37].

وذهب السيوطي إلى إن مخالفة القرآن لنظم الشعر واضحةٌ، لا تخفى على أحد، فقول من قال انه شعر: كفر وعناد محض، ومن نسب النبي (ﷺ) إلى الشعر فهو جاحد كافر لأنه يعلم أن القرآن الكريم ليس بشعر لا في أوزان آياته، ولا في تشاكل مقاطعه، فهو غير خاف عن العرب شاعرها ومفحمها، إذن إنه ليس بشعر، فكانت الفاصلة (قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ)فالله تعالى كذب المشركين حينما وصفوا القرآن بالشعر والكهانة[3]، كقوله تعالى: (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ) [الحاقة: ٤١]. ولا بد لنا لنا أن نذكر هنا أن العرب في عصر ما قبل الإسلام كانوا يعتقدون بأن هناك علاقة بين الشعر والكهانة والسحر،وأن الشياطين تنزل على الشعراء كما تنزل على الكهان،وأن لكل شاعر شيطاناً يوحي له بالشعر حتى أنهم أطلقوا تسميات على شيطان كل شاعر فمسحل شيطان الأعشى الذي كان يوحي له بالشعر، وجهنام كانت من الجن توحي للشاعر عمرو بن قَطن بالشعر الذي كان يهجو به الأعشى[4]. وقد نزه الله تعالى كتابه عن شَبه الشعر كما نزه نبيه(ﷺ) عن قوله، فلا ينبغي له الشعر بحال،ولا كل أمر دنيء[5]. بدليل قوله تعالى: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ {226}) [الشعراء:224-226].

ثالثاً: قال تعالى: (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ {14}) [الدخان: ١٤].

ابتدأت الآية الكريمة بجرس شديد عذب ليعبر عن أمر عظيم يوحي بالوعظ والتذكير، وقد جاءهم ما هو أعظم في وجوب الطاعة، وهو ما ظهر على النبي (ﷺ) من المعجزات والبينات الباهرة، وبعد ذلك (تَوَلَّوْا عَنْهُ) ولم يلتفتوا إليه وقالوا (مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ) أي من علمّه العلم وأعْلَمه إياه فتعلمه،فإذن((من هو المعلم الذي كان قد علم النبي (ﷺ) وغذّاه بتلك المبادئ والقيم، فلم يذكره، ولكن اقتران هذه التهمة بتهمة الجنون يدل على أن المعلم المزعوم هو الجن،فهو طريق صلته بهم تلقى رسالته عنهم وبالتالي أصيب بعقله فصار معلماً)) [6]،ثم ألزمهم الله تعالى الحجة وأكذبهم بان لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسانٌ عربي عربي مبين.

ٹ ٹ (إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38}) [الحجر: 38]. وعَلَّمْتَه الشيء فتعلم، ومنه قول ابن مسعود (رضي الله عنه) ((أنك عليم مُعلم))[7] بمعنى ملهم للصواب والخير[8]، وفي الآية الكريمة أن كفار مكة كانوا في ظهور القرآن على النبي (ﷺ) قسمين، قسمين، احدهما: كانوا يقولون إن محمداً (ﷺ) يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات، كقوله تعالى (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) [النحل: ١٠٣].

---

(1) ينظر: تفسير الشعراوي: 12766/20.

(2) ينظر: الكشاف: 33/4.

(3) ينظر: الإتقان في علوم القران , جلال الدين عبد الرحمن السيوطي , تحقيق: محمد أبو الفضل,الطبعة التجارية (القاهرة:1970): 102/2.

(4) ينظر: العصر الجاهلي, سلسلة تاريخ الأدب العربي-1- د. شوقي ضيف, ط8 , دار المعارف(القاهرة:1960): 196-197.

(5) ينظر: ا لصاحبي في اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها,أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي,ط1, الناشر محمد علي بيضون (القاهرة:1997):211/1.

(6) مفاهيم القران , الجزء السابع , يبحث عن شخصية النبي الأكرم(ﷺ) وحياته في القران الكريم , جعفر السبحاني, نشر, مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام:144.انترنيت.

(7) المعجم الأوسط , أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني, تحقيق :طارق بن عوض الله بن محمد , وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, دار الحرمين (القاهرة:1415ه): 322/7. رقم الحديث 7621.

(8) لسان العرب المحيط: 780/2.

وقوله تعالى: (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) [الفرقان: 4]. وأما الآخر: فيقولون إنه لمجنون والجن يلقون عليه هذه الكلمات عندما يغشى عليه[1]، فالنبي (ﷺ) يذكرهم بما هو خير لهم ألا وهي كلمة التوحيد، ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب.

فضلاً عن إبراز التعبير القرآني في قوله(وقد جاءهم) ما هو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد النبي (ﷺ) من الآيات البينات من الكتاب المعجز، وغيره من المعجزات،ومع ذلك تولوا عنه وبهتوه بان غلاما أعجميا لبعض ثقيف يقال له- عداس- هو الذي علمه[2].والنبي(ﷺ) بالرغم من ذلك دعا قومه إلى طاعة الله تعالى وتوحيده الذي يوجب النجاة من من عذاب الله تعالى.

أما في قوله تعالى (وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ {6}) [الحجر: ٦]

فقال الحسن (ﷺ) يا أيها الذي تدعي انه نزل عليه الذكر:أنك لمجنون؛فيما تدعي من نزول الذكر،وهذا متناقض في الظاهر؛لأنهم لا يقرون بنزول الذكر عليه،ولو أقروه لكان قولهم متناقضا، والذي حملهم على تسميته مجنونا الأسباب الآتية، أولا: عندما أظهر الخلاف لذوي العقول منهم والفهم قالوا لا يقول ذلك إلا من به جنون. ثانيا: من اظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة وخالفهم في الدين، فظنوا من يخاطر بنفسه وروحه إلا لجنون به، وأخيراً: كان لونه يتغير عند نزول الوحي عليه، فظنوا أن ذلك لآفة فيه، ولو تفكروا قليلاً لعرفوا انه ليس به جنّة، ولكن عن معاندة ومكابرة[3]، إذن هم ينكرون الوحي والرسالة ولكنهم يتهكمون على الرسول الكريم بهذا القول في وصفهم للرسول الأمين (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) جزاء على دعوته لهم بالقرآن المبين [4].

رابعاً: يمضي السياق في سورة الذاريات في قوله تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {52}) [الذاريات: ٥٢].

وهذه الآية تدل على أن موقف الكفار من رسلهم واحد وهو اتهامهم بالسحر والجنون، وظاهر الآية عدم الفرق بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعموم (ما)النافية للحدث ثم أضيف إليه عنصر التوكيد (من) ليدل أسلوب النفي بترك قولهم ساحر أو مجنون.

فكان من القبح مشاهدتهم على تلك الصورة في قولهم ساحر وليس الأمر كذلك لأنه ما من رسول إلا وآمن به قوم، وكأن الله تعالى يقول لا تأس على تكذيب قومك، فإن أقواما قبلك كذبوا (أتواصوا به) وهو قولهم (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) وفي الآية معنى التعجب أي قال بعضهم لبعض لا تقولوا إلا هذا[5].

فقوله (كَذَلِكَ مَا أَتَى{52}) أ ي لم يأتِ مثل ذلك الأمر، إشارة إلى تكذيبهم الرسول (ﷺ) وتسميته ساحراً أو مجنوناً،ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بـأتي؛ لأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، ولو قيل: لم يأتِ لكان صحيحاً،على معنى: مثل ذلك الإتيان لم يأتِ من قبلهم رسول إلا قالوا (أتواصوا به)،يعني:أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً واتفقوا عليه؟ والجواب لم يتواصوا به لأنهم لم يلتقوا في زمان واحد إذ جمعهم الطغيان[6].

خامساً: قال تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ {29}) [الطور: ٢٩].

إن الآية الكريمة تدل على تذكير الناس وموعظتهم، ولا يثبطنك قولهم (كاهن) ؛ لأنه يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة نظر، وأما لفظ (المجنون) بمعنى مغطى على عقله لا يعقل شيئاً، في حين أنت بحمد الله عز وجل وإنعامه عليك بصدق النبوة

---

(1) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 216/27.
(2) ينظر: الكشاف: 208/4.
(3) ينظر: تأويلات أهل السنة: 422/6-424.
(4) في ظلال القرآن: 193/8.
(5) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 212/28.
(6) ينظر: الكشاف: 307/4، ومعاني النحو: 99/1.

ورجاحة العقل، فسفه الله تعالى أحلامهم بهذا التناقض في قولهم كاهن وشاعر ومجنون[1]،والمجنون من زال عقله، فكيف يقول التكهن عن أمور ماضية؟ وحرف الفاء في قوله (فَمَا أَنتَ) بمعنى أنك لست بكاهن، فلا تتغير ولا تتّبع أهواءهم لأن ذلك سيرة المزور، وأنت لست بمزور وهذا سبب تذكير النبي (ﷺ) لقومه فهم كانوا يعبدون الأصنام[2]، فضلاً عن أن الله تعالى أزهق أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق – تعالى – به بين الحق والباطل، وأطلع الله تعالى نبيه (ﷺ) بالوحي على من يشاء من علم الغيب، فامتنعت الكهنة عن الإحاطة به[3]. فنلحظ أن الأصفهاني جعل تلوين الخطاب جمالا أسلوبيا في قوله (كاهن) بدلا من(عّراف) في الآية الكريمة؛ لأن الـ(كاهن)هو((الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن، والعراف الذي يخبرنا بالأخبار المستقبلية.. وكلاهما على الظن)) [4]، كقوله تعالى: (وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ {42})[الحاقة:42]، وأما قولهم كاهن في الآية الكريمة فـ((هو ما عليه كلامهم من السجع الذي يُتبعون به معاني ألفاظهم، وحق اللفظ في البلاغة أن يكون تابعا للمعنى، وهو ما عليه القران الكريم من الفصاحة والبلاغة والمعاني الأنيقة، بينما كلام الكهنة نثر غير نظم، فختمت الآية(قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)))[5]. فالله تعالى أرسل رسوله (ﷺ) ليبلغ أمته بالدين، فضلاً عن الشرع الذي انزل إليه من قبل الله تعالى، ليخرجهم من من الظلمات إلى النور، فعليك بمن أطاعك واتبعك، وانذر من كفر بك [6].

سادساً: في سورة القلم نجد السياق القرآني فيه تهديد لهم، فهم كذبوا النبي (ﷺ)، فأتاهم التعبير القرآني بكل آية حتى يؤمنوا به في قوله تعالى: (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {2}) [القلم: ٢]. اقسم الله تعالى بالقلم تعظيماً له لما في خلفه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة والمنافع الجامعة التي لا يحاط بها في قوله (وَمَا يَسْطُرُونَ {1}) [القلم: 1].أي ما يسطره الحفظة، بقوله (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) تنبيه المخاطب إلى إثبات فكرة حقيقية وهي نفي الجنون عن النبي (ﷺ) أما كلمة (ما) في الآية الكريمة الداخلة على الجملة الاسمية فكان نفيها للحال عند الإطلاق، في حين أشارت (ما) في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال، والتي أفادت التوكيد أيضاً، وكثيراً ما تكون ردّاً على كلام أو ما نزّل هذه المنزلة، وكما جاء على لسان المكذبين ردّاً على قول رسولهم، قال تعالى(إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {14} قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ {15}) [يس:15،14][7]. فنفى الله تعالى هذه التهمة عن رسوله، فضلاً عن أن (الباء) (الباء) في قوله (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) متعلقة بقوله (گ) منفياً، ويتعلق بعاقل مثبتا أي أنت بنعمة الله عاقل إذ يتساوى في ذلك النفي والإثبات، وتعمل (ما) في الفعل مثبتاً ومنفياً إعمالاً واحداً، كأنه قال: ما أنت بمجنون منعماً عليك بذلك، ولم يمتنع حرف (الباء) أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة تفيد توكيد النفي [8]، وقد تحدثت السورة عن تكذيب المشركين للرسول (ﷺ) واتهامهم بالكذب والجنون عداوة وحسداً، وذلك في بداية الدعوة [9]، فرد عنه القرآن هذه التهمة بإنعام الله تعالى عليه بحصافة العقل، والنبوة، روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال ((غاب عن خديجة إلى حراء، فطلبته فلم تجده فإذا به وجهه متغير بلا

---

(1) ينظر: الكشاف: 313/4.

(2) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 236/28-237.

(3) تهذيب اللغة، لأبي منصور بن محمد احمد الأزهري، الجزء السادس، حققه وقدم له: عبد السلام هارون، راجعه: محمد علي النجار (د.ت): 24/6.

(4) المفردات في غريب القرآن: 444.

(5) من أسرار التعبير في القران-الفاصلة القرآنية , د.عبد الفتاح لاشين, دار المريخ (القاهرة:1982):71.

(6) ينظر: زاد الميسر في علم التفسير: للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط1، المكتبة الإسلامية (بيروت: 1967): 484/6.

(7) ينظر: معاني النحو: 165/4.

(8) ينظر: الكشاف: 443/4.

(9) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين بن الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي متضمنة تحقيقات العلامة: محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه: محمد بن الجميل وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن محمد بن عثمان، ط، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة (القاهرة: 2004):214/8.

غبار، فقالت له ما لك؟ فذكر نزول جبريل (ﷺ) وانه قال له:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1}) [العلق: ١] فهو أول ما نزل من القرآن[1] قال: ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين، وقال هكذا الصلاة يا محمد))[2]،وهذا محمد))[2]،وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة بأن الله تعالى اقسم بانتفاء الجنون عنك بقوله(بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) فالنعمة في الآية الكريمة تأتي بمعنى: الرحمة أو الحالة الحسنة التي يكون عليها الإنسان[3]، والمراد من الآية الصفة المحمودة إنما حصلت، والصفة المذمومة إنما زالت بواسطة إنعام الله تعالى ولطفه وإكرامه عليك بالإيمان والنبوة والسيرة المرضية، أما صفة (الخلق) فهي متصفة بـ (ﮚ ﮛ) وهذا ردٌ لمن رماه بالجنون بأن ذلك افتراء وكذب؛ لأن أخلاق المجانين سيئة، والأخلاق الحميدة المرضية ظاهرة منه[4]، كقوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ {86}) [ص: ٨٦]. فالآية الكريمة (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أثبتت ونفت، أما الإثبات فهي نعمة الله تعالى على نبيه في تعبير يوحي بالقربة والمودة بسبب إضافته إلى ذاته العلية بقوله (رَبِّكَ)، في حين أفاد النفي في (ما) تلك الصفة المذمومة التي لا تجتمع مع نعمة الله تعالى على عبد نسب إليه وقربه واصطفاه، فما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ﷺ[5]. إذن الآية الكريمة تنفي الجنون، كما في قوله تعالى: (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) [القلم:2]، ففي السياق توكيد يناسب حرف (الباء) الزائدة في النفي، وما ذلك إلا ردّ على قول الكفرة في السورة التي نحن بصددها بأنه مجنون(ﷺ) كقوله تعالى:(وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ {51}) [القلم:51]، واللام في النص الكريم أفادت التوكيد والإثبات[6].

سابعاً: يستمر السياق في سورة القلم وخصوصاً عندما أطال المحاجة معهم في قوله تعالى:(وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [القلم: ٥١]، فسورة القلم في ختامها ترسم لنا مشهد الكافرين وهم يتلقون الشريعة من الرسول (ﷺ) في غيظ وحقد، فضلاً عن نظرتهم المحمومة بالسب والشتم البذيء بقولهم (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) فنفى الله تعالى هذه الصفة القبيحة عن النبي (ﷺ) وأعقب كلامه بالقول الفصل (وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ {52}) [القلم: ٥2] [7]. وهذه المشاهد المختلفة التي تراها تتناسب مع السياق القرآني، وقد يكون للسورة كلها جو خاص وسمة خاصة، مع أهداف وأغراض تدور حولها.. فتأخذ من كل معنى ما يتناسب مع أهدافها[8] وعلى هذا تكون صورة الجنون منفية من جو السورة كلها.

إن الله تعالى يقول لنبيه محمد(ﷺ)لا يوجد منك ما وجد من يونس (ﷺ) من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه، ثم تاب الله تعالى عليه، ولولا توبته لكانت حاله على الذم، وهذه الآية نزلت بأُحدٍ حين حلّ برسول الله (ﷺ) ما حلّ به، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا[9]، ففي الآية الكريمة وردت لفظة (لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء وفتحها، من زلق الرأس وأزلقه: حلقه، وقرئ

(1) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول (ﷺ) وسننه وأيامه, محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري, تحقيق:محمد زهير بن ناصر الناصر,ط1,دار طوق النجاة,1422: 147/6, باب بدء الوحي.

(2) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير,محمد بن أحمد الخطيب الشربيني, دار الكتب العلمية (بيروت:د-ت):255/4.

(3) المفردات في غريب القرآن : 501.

(4) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 3 /72-73.

(5) ينظر: في ظلال القرآن: 219/8.

(6) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل , د. فاضل صالح السامرائي , ط1,دار الشؤون الثقافية(بغداد-1998):0125

(7) ينظر: في ظلال القرآن: 241/8.

(8) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار الكتب، جامعة الموصل، (الموصل: 1988): 212.

(9) ينظر: الكشاف: 451/4.

(ليزهقونك) بحرف الهاء، أي زهقت نفسه وأزهقها، والمراد منها شدة عداوة الكافرين لك خصوصاً عند قراءتك للقرآن الكريم بزعمهم انه دليل جنونك (وَمَا هُوَ إلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) تذكير وبيان وتنبيه لهم على ما في عقولهم من أدلة التوحيد[1].

لذا جاء استعمال حاسة الرؤية لمشاهدة الأشياء كلها، فعبر(بِأَبْصَارِهِمْ) لما فيه من الاستبصار والتدبر في قوله (بِأَبْصَارِهِمْ) فالبصر يمكن التحكم به، ومن جهة أخرى يدل على الرؤية لدى الإنسان خصوصاً في بداية النهار وعلى الانتشار والسعي والعمل بجد، وكأن النبي (ﷺ) يبصر جميع الناس المنتشرين حوله، فيكون شاهداً على أعمالهم معيناً على تقلبهم في الأرض[2]، فالسياق يبين أحوال هؤلاء الكافرين بقوله (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) والسمع في اللغة: إيناس الشيء بالأذن، والسّمْعُ: حِسنُّ حِسنُّ الأذن[3] فكفار مكة أصغوا بشدة للنبي (ﷺ) سواء بدعوته أو قراءته للقرآن؛ لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر[4]. ثم جاءت لفظة (الذكر) بمعنى القرآن، أو هو وصف للنبي (ﷺ)، فالمشركون لم يملكوا أنفسهم حسداً على ما أوتيت أوتيت من النبوة والمعجزات (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) حيرة في أمرهم وتنفيراً عنه، وإلا فقد علموا أنه أعقلهم، فأعقبه (وَمَا هُوَ إلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) جنّنوه لأجل القرآن، فكيف يجنّن من جاء بمثله[5]؟

ثامناً: قوله تعالى (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) [التكوير:22].

فالمجنون لا يهتدي إلى وسائل الصواب لاستتار رشده فيرتفع عنه التكليف لعدم وعي عقله وحضوره؛ لأن الجنون من الضلال [6]، لذلك جاء الرد منه تعالى في تلك الآيات الكريمات بإبطال زعمهم واتهامهم أن مسّاً من الجنون قد أصاب النبي (ﷺ).قال الفيروز آبادي: إن الله تعالى نفى عنه تلك الصفة، وجاءت لفظة صاحبكم معبرة عن الملازمة سواء إنسانا أو غيره، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن أو بالعناية والاهتمام [7]، فالنص الكريم عبّر عن وصف الرسول محمد(ﷺ) في أربعة مواضع منها، قولــه تعالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {184}) [الأعرف:184]، فالخطاب للمشركين والمراد به محمد[8].فتلك الأوصاف التي أطلقها عليه قومه من جهة الاستهزاء والإساءة إلى سمعته (عليه الصلاة والسلام) لأنهم لا لا يؤمنون بنزول القرآن ولا يعترفون به، أما ثانياً : فالآيات التي وردت بصيغة النفي ليرد فيه الله تعالى على المشركين اتهامهم بالباطل وينفي عنه تلك الصفة الذميمة في ثلاثة مواضع وهي، قوله تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ) [الطور: ٢٩]، وقوله (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) [القلم:2]، والآية التي نحن بصددها قوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) [التكوير: ٢٢]، إذن التراكيب اللغوية التي استخدمها القران الكريم في غاية الدقة كأسلوب النفي الذي يهدف به المتكلم إخراج الحكم من تركيبه اللغوي المثبت إلى ضده إذ يصرف الذهن البشري من الإيجاب والقبول إلى ضده أو نقيضه بطرائق غير مباشرة من المقابلة أو ذكر الضد أو بتعبير قد ساد في مجتمع ما[9].

---

(1) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 91/30.

(2) ينظر: الليل في القرآن الكريم – دراسة فنية-، سعد جرجيس حديد الجبوري، شهادة الماجستير، بإشراف: أ.د. بشرى البستاني، كلية الآداب (جامعة الموصل: 2006): 125.

(3) مقاييس اللغة، أبو الحسين بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (القاهرة: 1979): 102/3.

(4) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى (تفسير البيضاوي) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، حققه وبين أحاديثه الموضوعة والضعيفة والإسرائيليات فيه الشيخ: عبد القادر عرفات العشا حسونه، دار الفكر (بيروت: 1996): 302/4.

(5) ينظر: الكشاف: 451/4.

(6) ينظر:التحرير والتنوير:27\92.

(7) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز,أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي,تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة:1385هـ): 3\386.

(8) ينظر: زاد الميسر في علم التفسير: 8\63.

(9) ينظر: في التحليل اللغوي, منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي , والنفي اللغوي , وأسلوب الاستفهام ,خليل احمد عمايرة , تقديم: د. سلمان حسن العاني , مكتبة المنار(الأردن- د- ت):154.

وإذا تساءلنا هل يجوز تقديم (ما بمجنون صاحبكم) بدلا من قوله (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ)؟ فتكون الإجابة لا يجوز مثل هذا التقديم لأنه مخل بالمعنى للأسباب الآتية.

أولا: تكون (ما) هنا مهملة غير عاملة. ثانيا: تقديم الخبر(بِمَجْنُونٍ) يدل على صحة قولهم لان المجنون يكون بحكم المعدوم والعدم لا يقوم عليه شيء، بمعنى أن الوحي المنزل على النبي(ﷺ) من قبل الله تعالى بحكم العدم، لذلك قال (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) ،وإذا تمعنا في هذه الآية الكريمة فسنجد ما يأتي، أولا: إن (ما) نافية عاملة أثرت على الاسم الذي دخلت عليه. ثانيا: جمع لفظة (صَاحِبُكُم) والمراد بـ (صاحب)هو النبي(ﷺ)وهو نبي واحد، فالكاف في (صَاحِبُكُم) عائدة على كفار مكة.

ثالثا: (بِمَجْنُونٍ) خبر لصاحبكم الذي شككتم في دعوته، والباء من أحرف الزيادة لتوكيد النفي،والدليل على زيادتها أنها لو حذفت من الخبر لم يتغير شيء في أسلوب الكلام مع بقاء المعنى.

إذن يأتيه غيب السماء، وهو شيء نفيس فلا يبخل به عليكم، فيبينه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من إعلامه حتى يأخذ عليه منه شيء من هنا جاء قوله تعالى:(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)، والغيب بمعنى القران وما فيه من الأنباء والقصص، والضنين المتهم، والمعنى ما محمد(ﷺ) على القران بمتهم بل هو ثقة فيما يؤدي عن الله تعالى[1]،ولا ننسى دور الفاصلة الفاصلة القرآنية وما لها من تأثير كبير في النظم القرآني، ومن جهة أخرى في تآلف الجمل مع بعضها، فكلمة (مجنون) تعبر عن إنكار العرب له (ﷺ) أو إنكار تصديقه وما جاء به من الحق.

فإخبار الله تعالى لأهل مكة لغرض الإفصاح والبيان..إذ اختلفت صور وأساليب الخبر باختلاف أحوال المخاطبين..لذا جاء الخبر- طلبياً- تأكيدا للكلام، في قوله تعالى:(وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) فالتعبير القرآني بأسلوبه العذب قام بنقل الجملة من حالة الإثبات والتوكيد إلى حالة النفي بدخول حرف (ما) لزيادة التوكيد بحرف الباء، قال ابن عاشور: فـ (صَاحِبُكُم) المراد منها في الآية الكريمة صدقه وأمانته إذ عرفتموه عمرا طويلا..فصراحة الدلالة الأسلوبية وصورها الحية في تحقيق الغرض الأسلوبي في بنية الكناية، فهذه الدلالة مستمدة من بيئة عربية ارتبطت بقيم وخصال معينة،فجاء القران الكريم مخاطبا عرب الجاهلية بما يعرفونه بقوله صاحبكم *فهي كناية عن خلقه،بيد* أن شأن الصاحب أن لا تخفى دقائق أحواله على أصحابه[2]،ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39}) [يوسف:39].

لذا أتى التعبير القرآني في بداية الآية بنفي، فقا(ل وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُون) وهذا النفي يوحي بشدة زجر الكفار لما يقولونه وينسبونه إلى محمد (ﷺ)؛ لأن هذه الكلمة تولد قوة من تصوير حسي مرتبطة بسياق الآية أو الخطاب الرباني؛ لذا فإن القران يعطي للكلمة نظما موسيقيا بديعا، وهكذا نفى الله تعالى الجنون عن أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) ونزههم عن وصف الكفار لهم بكل ما لا يليق بهم.

الخاتمة :

- نقل الله تعالى أقوال الكافرين والجاحدين في القرآن الكريم بأنهم اتهموا الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) بالجنون والسحر وبكونهم شعراء، فرد تعالى عليهم بسلامة منطقهم ورجاحة عقولهم ، ودحض تهمهم الباطلة .

- قد افتتن الأنبياء كل بحسب ما قدر له في الأزل ، فإبراهيم (عليه السلام) ابتُلي بالنار وخروجه من وطنه ، وأمّا موسى (عليه السلام) فابتلى بفرعون مصر وجحوده وقومه معه ، أما النبي (عليه الصلاة والسلام) فابتلى بتكذيب قومه والافتراء عليه . .

- وصف الكافرون نوحا (عليه السلام) بالتكذيب والعناد ، لأنهم انهمكوا في الغي والفساد ، وهم يعرفون أنّه (عليه السلام) أرجح الناس عقلا ، وأوزنهم قولا .

(1) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:31\75.

(2) ينظر: التحرير والتنوير:30\157.

- مكابدة موسى (عليه السلام) مع قومه وهو يدعوهم ان رب العالمين ربهم ورب فرعون فزعم فرعون _لعنة الله تعالى عليه_ متهكما على الرسالة التي جاء بها موسى (عليه السلام) بقوله: بإن رسولكم مجنون ؛ ليبعد القلوب عن تصديقها .

- بعث النبي (عليه الصلاة والسلام) بالتوحيد ودين الحق ، فكذبوه على الرغم من معرفة نسبهِ وأمانته ، فنسبوا اليه السحر والشعر والجنون ، ولقد علموا بأنه ليس بمجنون .. مع أن النبي (عليه الصلاة والسلام) أرجح الناس عقلا وأمانة وصدقا إلى غير ذلك من الكلمات اللائقة بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) .

- إنّ معجزة موسى (عليه السلام) التي سماها فرعون سحرا إذ بلغت من القوة والتأثير أن أخرجتهم من أرضهم .

- لفظة الجنون أو المجنون تعني: الذي لا يهتدي إلى الصواب لاستتار رشده فيرتفع عنه التكليف، فرد الله تعالى بإبطال زعمهم أن مسا من الجنون قد أصاب النبي(عليه الصلاة والسلام).

- عبّرت المصاحبة في السياق الكريم عن الملازمة سواء أكان انسانا أو غيره ، أو تكون المصاحبة بالبدن أو بالعناية والاهتمام .

Rreferences

-Perfection in the Sciences of the Qur'an, Jalal al-Din Abd al-Rahman al-Suyuti, edited by: Muhammad Abu al-Fadl, commercial edition (Cairo: 1970).

- Fundamentals of the Islamic Religion, Dr. Rushdi Alyan, D: Qahtan Abd al-Rahman al-Duri, 3rd edition, Mat al-Rashad (Baghdad: 1986).

- The morphological miracle in the Holy Qur'an, an applied theoretical study of the rhetorical use of the word form, Dr. Abdul Hamid Ahmed Youssef Hindawi, 1st edition, Modern Library (Beirut: 2001).

-The parsing of the Holy Qur'an and its explanation, Muhyiddin Darwish, 9th edition, Dar Ibn Katheer, Beirut, and Dar Al-Yamamah (Beirut:- 2003).

- Anwar al-Tanzeel and the Secrets of Interpretation called (Tafsir al-Baydawi) by Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi, verified by Sheikh: Abd al-Qadir Arafat al-Asha Hassouna, and among his fabricated and weak hadiths and the Israeli ones, Dar al-Fikr (Beirut: 1996).

- Insights of the Discerning People in Lataif Al-Kitab Al-Aziz, Abu Al-Tahir Majd Al-Din Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi, edited by: Muhammad Ali Al-Najjar (Cairo: 1385 AH).

- Liberation and Enlightenment, Muhammad Al-Taher bin Ashour, Dar Sahnoun (Tunisia: 1997): 14/11, and the Rhetorical Miracle in the Holy Qur'an, Muhammad Hussein Salama, 1st edition, Dar Al-Afaq Al-Arabiya (Cairo: 2002).

- Qur'anic expression, Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Al-Kutub, University of Mosul, (Mosul: 1988).

- Tafsir Al-Jalalayn, by Imam Jalal al-Din al-Mahli, and Imam Jalal al-Din al-Suyuti, Dar al-Ulum al-Hadith (Beirut-D-T).

- Tafsir Al-Shaarawi, Thoughts of His Eminence Sheikh Muhammad Metwally Shaarawi about the Holy Qur'an, Islamic Research Academy, General Administration for Research, Authorship and Translation (Cairo: 1991).
- Interpretation of the Great Qur'an by Imam Al-Hafiz Imad Al-Din bin Al-Fida Ismail bin Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi, including investigations by the scholar: Muhammad Nasir Al-Din Al-Albani, whose hadiths were included by: Muhammad bin Al-Jamil, Walid bin Muhammad bin Salama, Khalid bin Muhammad bin Othman, ed., Al-Safa Library, Dar Al-Bayan Al-Hadithah. (Cairo: 2004).
- Tafsir Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa Al-Maraghi, 1st edition, ed., Mustafa Al-Babi Al-Halabi and his sons.
(Egypt: 1946).
- Refinement of the Language, by Abu Mansour bin Muhammad Ahmad Al-Azhari, Part Six, verified and presented by: Abdul Salam Haroun, reviewed by: Muhammad Ali Al-Najjar (d. T.).
- Al-Jami' I Ahkam Al-Qur'an - Tafsir Al-Qurtubi - by Imam Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad Al-Ansari Al-Qurtubi, presented by Hani Al-Hajjaj, verified and his hadiths produced by: Imad Zaki Al-Baroudi and Khairy Saeed, Al-Maktabah Al-Tawfiqiyya (Cairo: DT).
- Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar from the affairs of the Messenger (peace be upon him), his Sunnahs and his days, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah Al-Bukhari, edited by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, 1st edition, Dar Tawq (Al-Najat: 1422).
- Diwan Duraid bin Al-Samma, presented by Dr. Shaker Al-Fahham, edited by Muhammad Khairy Al-Baqa'i, Dar Qutaiba, 1981.
- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis, Abu al-Fadl Shihab al-Din al-Sayyid Mahmoud al-Alusi al-Baghdadi, edited and graduated by: Dr. Sayyid Muhammad al-Sayyid and Sayyid Ibrahim Imran, Dar al-Hadith (Cairo: DT).
- Zad al-Maysar fi Ilm al-Tafsir: by Imam Jamal al-Din Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi, 1st edition, Islamic Library (Beirut: 1967).
- The Enlightening Siraj in Helping to Know Some of the Meanings of the Words of Our Lord, the Wise and All-Knowing, Muhammad bin Ahmad Al-Khatib Al-Shar is Between Me, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (Beirut: D-T).
- Al-Sahbi in the Arabic language and its issues and the Sunnahs of the Arabs in their speech, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, 1st edition, publisher Muhammad Ali Baydoun (Cairo: 1997).
- Safwat Al-Safwa, Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Abu Al-Faraj Ibn Al-Jawzi, edited by: Mahmoud Fakhoury, Dr., and Muhammad Rawas Walaaji, Dar Al-Ma'rifa (Beirut: 1979).

- The Pre-Islamic Era, History of Arabic Literature Series-1- Dr. Shawqi Deif, 8th edition, Dar Al-Maaref (Cairo: 1960).

- Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur'an, Siddiq Hasan al-Qanuji, reviewed by: Abdullah bin Ibrahim, Dar Ihya al-Turath al-Islami (Qatar: 1989).

- In linguistic analysis, a descriptive analytical approach and its application to linguistic affirmation, linguistic negation, and the interrogative method, Khalil Ahmed Amayra, presented by: Dr. Salman Hassan Al-Ani, Al-Manar Library (Jordan - D-T).

- In the Shadows of the Qur'an, Sayyid Qutb, 7th edition, Arab Heritage Revival House (Beirut: 1971).

- Al-Mu'jam Al-Awsat, Abu Al-Qasim Suleiman bin Ahmed Al-Tabarani, edited by: Tariq bin Awadallah bin Muhammad, and Abdul Mohsen bin Ibrahim Al-Husseini, Dar Al-Haramain (Cairo: 1415 AH).

- Dictionary of Psychology - English-French-Arabic, Dr. Fakher Aqel, 1st edition, Dar Al-Ilm Lil-Millain (Beirut: 1971).

- Meanings of Grammar, Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai, 2nd edition - Al-Atak Company (Cairo: 2000).

- Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad Al-Isfahani, reviewed and presented by: Wael Ahmed Abdel Rahman, Al-Maktabah Al-Tawfiqiyah (Cairo: 2003).

- Language Standards, Abu Al-Hussein bin Faris bin Zakaria, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, (Cairo: 1979).

- Among the secrets of expression in the Qur'an - The Qur'anic Comma, Dr. Abdel Fattah Lashin, Dar Al-Marikh (Cairo: 1982).

-Encyclopedia of Psychology and Psychoanalysis, Dr. Abdel Moneim Al-Hafni, Madbouly Library, ed., Atlas (D.M.-D.T.).

- The Scout from the Faces of the Mysteries of the Revelation and the Eyes of Interpretation in the Faces of Interpretation, Interpretation of the Holy Qur'an, by Imam Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (Beirut: D.T.).

- Lisan al-Arab al-Muhit: Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Manzur, submitted by: Abdullah al-Ala Yali, prepared and classified by: Youssef Khayyat, Dar Lisan al-Arab (Beirut: DT).

- Lataif Al-Isharat, Tafsir Al-Qushayri, Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul Malik Al-Qushayri, investigator: Ibrahim Al-Basiouni, 3rd edition, Egyptian General Book Authority (Egypt: D-T).

- Graphic touches in texts from the download, Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai, 1st edition, House of Cultural Affairs (Baghdad-1998).
- Night in the Holy Qur'an - an artistic study -, Saad Jarjis Hadid Al-Jubouri, Master's degree, under the supervision of: Prof. Dr. Bushra Al-Bustani, College of Arts (University of Mosul: 2006).
- Nazm al-Durar fi Tasnab al-Ayat wa al-Surah, Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Rabbat bin Ali bin Abi Bakr al-Baqa'i, Dar al-Kitab al-Islami (Cairo: D-T).
- The End in Strange Hadith and Athar, Majd al-Din Abu al-Saadat al-Mubarak bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim al-Shaybani al-Jazari Ibn al-Atheer, edited by: Taher Ahmad al-Zawi and Mahmoud Muhammad al-Tanahi, Scientific Library (Beirut: 1979).

Internet:

- Concepts of the Qur'an, Part Seven, examining the personality of the Noble Prophet (peace be upon him) and his life in the Noble Qur'an, Jaafar Al-Subhani, published by the Imam Al-Sadiq Foundation, peace be upon him. Internet.